

٣ — العبقريّة

علم وأدب وفن

للاستاذ الحوماني

تمّة

واختلال نظام الحياة في الجسم مدعاة كبرى لاختلال نظام الحياة في الروح لشدة تلازمهما بشدة امتزاجهما ، فإذا كان لحيطك جزء فيك ولك فيه مثل ذلك بصحبتك أيام زماناً ما ، فاقولك بصحبة الروح للجسم أزمانا يقصر العقل دون حدّها ؟ ولا تنس أنك وانت تلحظ ما يدفعك اليها مستعرضاً ما يحف بها من هذه العوامل ، أنك جد عاجز عن لحاظ ما يردك عنها من مرجحات الغفاف .

وهكذا تراك ، وانت تلحظ مرجحات الفعل قاصراً بطبعك ان تلحظ مرجحات الترك ، ضرورة أنه يستحيل على المرء ان يفكر في أمرين في وقت واحد فيجمع بين النقيضين ، فاحفظ هذه لترجع اليها قريباً . فالذي يدفعك الى هذا العمل أو سواه من وراء الارادة لقوة عوامل الدفع من الخارج في نفسك ، والذي يردك عنه لقوة نقيضها من عوامل الردع ، والذي تستعرض به هذه العوامل أو غيرها في المجتمع ، والذي يميز هذه الخواطر وهو يتصفحها فيفاضل بينها ، والذي يخزنها في إحدى زوايا النفس أو يطبعها على صفحات القلب ، والذي يستخرجها عند مسيس الحاجة اليها ويبحث عنها فيما اذا خفيت وراء الضمير ، والذي يدرس بها الحوادث الخارجية درساً يستحيل ملكة في النفس تعصمها عن الزلل في الحياة ، والذي تحس به ما تمسك اليه الحاجة في نفسك أو في بدنك ، والذي يلهب جسمك تصوّره ويخدم صدرك بما يتأثر به من عامل ، والذي يزواج بين محسوساتك فيستخرج من الحقيقة خيالاً عن طريق الأبداع في التصوير ، كل ذلك واحد لا تعدد حقيقته ، وجزئ فيك من ذلك المعنى الكلي تعدد اسمائه بما يتكثف به من شكل ولون خارجيتين

فإذا استعرض الحوادث وحاًكم بينها ليميز حسنهما من قبحها كان فكراً ، وإذا حمالك على فعل الحسن لقوة ما يحفه من عامل خارجي كان عقلاً . وإذا دفع بك الى اقتراف الأثم لما تحصل عنده من ترجيح بسبب ما يحفه من عامل كان هوى ، فإذا خزن ما يمر به من خواطر في إحدى زوايا النفس سمي حافظة ، ثم اذا هو استخرجها بعد حين أو راح يبحث عنها سمي ذاكرة

وإذا درست به الحوادث فربى فيك ملكة الاستنباط سمي حذقاً ودهاء ، وهكذا قد تتصور به مباشرة أو عن طريق حواسك ما تتفعل به نفسك فينتج سروراً أو حزناً ينتجان لذة أو ألماً فتدعو ما ينتج عنه عاطفة .

وقد يبدع في التصوير أو يتصور مرغماً بدافع الوهم الخارجي فيعطيك على طريق العبث بالحياة أو الخطأ في التصور صوراً خيالية ينتزعها من الحقيقة قسميه خيالاً أو وهماً

فالعقل والفكر والحدق والحافظة والذهن والفظنة والذكاء والحلم والهوى النفس الأمارة بالسوء والشيطان ، كل ذلك مصدر ، واحد لهذا العمل الخارجي ، يتلون بالعوامل التي تحف بالعمل بحسنة ومقبحة ، يلبس لكل مؤثر لونا غير لونه مع مؤثر آخر ، ويدعى معه باسم كان قد دعى مع غيره باسم آخر

أما استلزامه في الدين حكم الجبر فذلك مما رآه ، والدين إنما كان لتربية المجتمع تدريجاً ليستحيل الهوى فيه عقلاً ، ويحول المثل الأدنى فيه مثلاً اعلى بحكم التطور ، اذ الخصائص النفسية بعد الارادة غرائز تكونت من الكسب الاجتماعي ، والجبر لامناص منه قبل هذه الاستحالة وبعدها ، فالمرء مع الهوى المطلق مجبر على كونه شيطانياً ، ومع العقل المطلق مجبر على كونه ملكاً .

فعلى هذا يكون مناط المثل الأعلى والمثل الأدنى في المرء واحداً ولكنه باعتبارين مختلفين ، ولا عجب في ذلك فالمرء يجمع الاضداد ، فينأى هو الحلم الرزين في حالة ، اذا هو الاحق الطائش في حالة اخرى ، وبينما هو الشجاع المقدام في مشهد ، اذا هو الجبان الرعديد في مشهد آخر ، فليس ذلك ناشئاً فيه الا بفضل هذا السر الغامض الكامن في نفسه المتلونة

وربما استقام لنا ان نخص المثل الاعلى بالعقل ، ونعزو المثل الأدنى للارادة ، إنما لا بد لنا ونحن نمشي مع رغباتنا الى العمل السيء بعد الحاكمة العقلية وثبوت قبح هذا العمل لدى العقل أن نتساءل اين ذهب عنا ما نسميه عقلاً فلانجعله اذ ذاك الا بعد ان نلغفت اليه ؟ فما هو هذا الذي نلغفت به الى العقل ؟

هل هي الارادة وهي التي تدفعنا ؟ ثم اين يكون العقل ونحن في انغماس بما تحمّلنا الارادة على الخوض فيه خلاف العقل ؟ فهل نفقده اذ ذاك ويكاد يكون جزءاً مقوماً في النفس . والنفس بمجموعها تيار لا ينفك متلاطماً ، ولا يخبوه نشاط حتى يتعطل ما يمسكه من آلة

فهل يذهب به اذ ذاك أخلال مركزه العصبي بينما نستطيع استرجاعه باقل التفات ؟

الحوماني

(النبطية) جبل عامل